المحاضرة الثانية: فكر مالك بن نبي

تمهيد: هناك صعوبة كبيرة في العثور على معلومات دقيقة عن الشخصيات والأعلام الثقافية والفكرية في الجزائر، الذين تركوا بصماتهم في المحيط المحلي أو العربي أو الإنساني بصفة عامة إذ غالبتهم ظلوا مجهولين ومغيبين لسنوات طويلة، حتى أن الطلبة في الجامعات والمدارس يتخرجون وهم يجهلون أعلامنا، وذلك لعدم تكثيف أدوار الاعلام والثقافة والبرامج التعليمية والتكوينية عن تللك الشخصيات الجزائرية، وقليلا ما يجري الالتفات إلى توثيق الكتب والمفكرين، وهو ما يجعل المتوفر عنهم شذرات متفرقة في بطون الكتب، أو مجتمعة بشكل غير دقيق وأحيانا تكون فيها مغالطات، هذه الشخصيات الفكرية التي سوف نتحدث عنها" أعلام الجزائر" لنفتح بذلك على مجالات فكرية غيرت الفكر في المجتمع الجزائري، بالدراسة والتحليل والتعمق في التركيبة البنائية للمجتمع الجزائري.

أولاً: نبذة تاريخية عن حياة ونشأة العلامة مالك بن نبي

ولد المفكر والعلامة مالك بن نبي في 01 جانفي 1905 بمدينة قسنطينة، فكان والده موظفا بالقضاء الإسلامي، وبحكم وظيفته حول إلى ولاية تبسة، وهناك تابع مالك بن نبي دراسته القرآنية، وتعليمه الابتدائي بالمدرسة الفرنسية وتخرج سنة 1925 .

سافر بعدها إلى فرنسا حيث كانت له تجربة فاشلة فعاد مجددا إلى مسقط رأسه، وعمل بعدها في محكمة آفلو 1927 احتك أثناء هذه الفترة بالفئات البسيطة من الشعب ثم استقال من منصب عمله القضائي بعد سنة 1928 إثر نزاع مع كاتب فرنسي لدى المحكمة، ثم عاد مرة أخرى للسفر إلى فرنسا 1930 ولكن هذه المرة كانت رحلة علمية والتحق بمدرسة اللاسلكي ليتخرج كمساعد مهندس ، مما جعل أفكاره التي دونها في مختلف كتاباته تتميز بطابع علمي تفني خالص، على العكس تماما في مجال القضاء والسياسة.

بعدها انغمس مالك بن نبي في الدراسة وفي الحياة الفكرية واختار الإقامة بفرنسا بسب الأوضاع التي كانت تشهدها الجزائر في تلك الفترة، وتزوج من فرنسية وشرع يؤلف الكتب في قضايا العالم الإسلامي (كتاب الظاهرة القرآنية 1946، شروط النهضة 1948، باللغة الفرنسية، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. ثم غادر فرنسا متجها إلى مصر بعد إعلان

الثورة التحررية 1954 حيث خضي باحترام كبير من قبل الكثير من المفكرين المصريين وتأثروا بكتاباته وبفكره المدافع عن الإسلام ، كتب كتابه فكرة الافريقية الآسيوية 1956

وعبن مستشار منظمة التعاون الإسلامي، هذا المنصب سمح له بمواصلة الكتابة ، حيث طور مالم بن نبي معرفته باللغة العربية راجع كل كتبة المترجمة وكان يلقي الكثير من المحاضرات في الدول العربية كسوريا ولبنان وغيرها.

عاد إلى الجزائر 1963 فعين مدير عام للتعليم العالي، فقام بالمتابعة وإلقاء المحاضرات والتأليف، بعدها استقال من منصبه سنه 1967 ليتفرغ كليا للعمل الفكري الإسلامي فساهم بمقالات مثيرة في الصحافة الجزائرية في مجلة الثورة الافريقية، كذلك حول إشكالية الثقافة والحضارة ومشروع المجتمع.

وتوفي رحمة الله عليه سنة 1973 تاركا وراءه زخما فكريا من الكتب نذكر منها (الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي، الفكرة الأفريقية الآسيوية، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، فكرة كومنولث إسلامي، مشكلة الثقافة، حديث في البناء الجديد، آفاق جزائرية، القضايا الكبرى، مذكرات شاهد القرن، الإسلام والديمقراطية، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، المسلم في عالم الاقتصاد، من أجل التغيير، ميلاد مجتمع، أسس الحضارة وغيرها من المؤلفات.

يعتبر مالك بن نبي مدرسة من أكبر المدارس الفكرية التي لها أثر واضح في تحديد ووضع ملامح الفكر الإسلامي الحديث لأنها اهتمت بدراسة مشكلات الأمة الإسلامية، حيث كانت جهوده منصبة في كيفية بناء الفكر الإسلامي ، وكذلك في دراسة المشكلات الحضارية، مطبقا في ذلك مواضيع ومناهج اعتمد عليها في الطرح والدراسة.

يعتبر مالك بن نبي أول من أودع منهجا محدداً في بحث مشكلة المسلمين، حيث تأثر بفكر ابن خلدون وقرأ الكثير من مؤلفاته ويظل أستاذه خصوصا حول نظرياته حول العمران البشري وأشار أليها في مذكرات حياته " شاهد القرن".

حيث ظهر مالك بن نبي وكانه يتحدث بلغة وفكر ابن خلون ويهمس في وعي الأمة بلغة القرن 20، فأظهر أمراض الأمة ووصف أسباب نهضة المجتمعات.

كذلك وضع الاستعمار تحت مجهر التحليل فحلل نفسيته ورصد أساليبه الخبيثة في السيطرة على الأمم المستضعفة وخاصة المسلمين منهم ووضع مالك بن نبي معادلات وقوانين الإقلاع الحضاري، من خلال اصلاح مناهج الفكر

حيث يقول طالما بقي المجتمع عاجزا عن إيجاد البدائل الفكرية والمنهجية التي تنسجم مع عقيدته وواقعه فهذا يعني أن المجتمع مازال يعاني التبعية والتخلف ولم ترق بعد أفكاره إلى ادرجة الاستقلال والتحرر الشاملين.

اذ توجد نقطتين هامتين في منهج مالك بن نبي تنبه إليها المفكرين، الأولى: تنبيه لرؤية هندسية في رؤيته للحضارة وفي انتاجه للحلول التي يطرحها لمشاكلها، هذا بسبب خلفيته الفكرية العلمية، الثانية: هي ملامح منهج غير مكتملة تمثلت في مصطلحاته المعيارية التي يستخدمها في عرضه لأفكاره والتي تصلح لقياس ظواهر اجتماعية عديدة.

وسنبدأ بعرض وطرح أهم ما جاء به مالك بن نبي بصفة مختصرة.

أولاً: رؤية مالك بن نبي للعالم:

من أهم الأفكار التي جاء بها ويرى من خلالها الظواهر اجتماعية هي مفهومه عن العوالم الثلاثة: عالم الأشياء، عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، ويطلق عليها هي أساس ثلاث منظومات نظرية تتجلى في كل الظواهر الإنسانية والاجتماعية، حيث يضرب مالك بن نبي مثلا بحياة الانسان وتعرفه على هذه العوامل، فيتحدث عن الطفل حديث الولادة باعتباره كائنا منعزلا في طريقه إلى الاندماج فيبدأ أولاً: بالتعرف على عالم الأشياء إذ يبدأ بالتعرف على أعضاء جسمه، يديه رجليه وتحريكهما دون إدراك حقيقي منه بأنها جزء من كينونته فيضع أصابع يديه في فمه محاولا التعرف عليها،(مرحلة الشيء).

ثم يبدأ في الاطمئنان إلى هذا العالم من خلال تعرفه على أمه ككيان كامل فيتعرف على ملامحها وعلى بقية الأشخاص ويتفاعل معهم (مرحلة الأشخاص)، ثم مع سن السادسة ومع تمكنه من ناصية اللغة يبدأ الطفل في التعامل مع الأفكار المجردة ويبدأ في تكوين رأيه الخاص وفي التجريد، ويكون مقدار ذكائه بمقدار ما يستطيع من التخلص من ربط هذه الأفكار بالأشخاص، وتكوين مفاهيم مجردة عن العالمين السابقين(مرحلة الأفكار).

أراد في ذلك أن يؤسس لفكرتين **الفكرة الأولى:** أن العوالم الثلاثة حاضرين دائما في وعي الانسان ومؤثرين فيه، ولكن باختلافهم تختلف أفكار الانسان بعضها عن بعض.

أما الفكرة الثانية: المراد توصيلها هي ربط مراحل الانسان العُمرية ونضجه الفكري بنضج المجتمعات، حينما نستخدم هذا النموذج في دراسة مجتمع ما.

ثانيا: المجتمعات بين الفكر والأشياء:

يضرب في ذلك مالك بن نبي في مسألة دراسة المجتمعات هذه المقارنة الرائعة بين روايتين معروفتين في الفكر الإسلامي والفكر الغربي هما رواية (حي بن يقضان) لابن الطفيل، ورواية (روبنسون كروزو) لدنيال ديفو 1719 عن طبيعة المجتمعين.

ففي رواية حي بن يقضان تحكي عن طفل تُرك في جزيرة نائية أمام نهر وهو رضيع فراته غزالة فاعتنت به وربته، ولما ماتت الغزالة فزع الفتى وحاول أن يعيدها للحياة ولما فشل بدأ يبحث عن جوهر الحياة في جسد الغزالة، فلم يجد نغييرا في فيهتدي شيئا فشيئا إلى فكرة الروح، ثم بعدها إلى خلود الروح ة، ثم يهتدي إلى فكرة وجود الخالق.

أما في رواية روبسون كروز: فتحكي عن رجل غرقت سفينته ولجأ إلى جزيرة نائية، وهو يعد رمزا للنجاة بالعمل، ومثالا لصراع الانسان ضد الوحدة والعزلة، فيبدأ في استكشاف الجزيرة ومأوى له حيث وجد رجلا من أهل الجزيرة كان سجينا هاربا فجعله عبداً له وسماه Friday وبدأ يعلمه لغته الإنجليزية ويلقنه تعاليم المسيحية وعلمه ما وصل إليه الانسان من تحضر وتقدم فكري.

ويدل من خلال هذه المقارنة بين الروايتين على تباين المركزية لدى كل من المجتمعين، فالمجتمع الإسلامي مجتمع منشغل بالأفكار ومتمركز حولها، أما المجتمع الغربي فمتمركز حول الأشياء والملذات يضع نفسه مركزا للعالم ويكتشف العالم من خلال ذاته مهتما فقط بالمعرفة الكاملة التي يحلم بأن تمكنه من التحكم الكامل بعالم الأشياء.

هذه النظرية العبقرية تشبه إلى حد كبير نظرية النموذج المعرفي التي طورها الدكتور عبد الوهاب المسيري في مجال العلوم الاجتماعية، الإله (الأفكار)، الانسان (الأشخاص)، الطبيعة المادة (الأشياء).

أ)- علاقة الانسان بالطبيعة(المادة): هل الانسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة أم هو جزء يتجزأ منها له استقلال نسبي عنها؟، هل للإنسان وجود طبيعي مادي محض أم أنه يتميز بأبعاد أخرى.

ب)- الهدف من الوجود: هل هناك هدف من وجود الانسان في هذا الكون؟ هل هناك غرض في الطبيعة أم أنها مجرد حركة دائمة متكررة أو حركة متطورة نحو درجات أعلى من " النمو والتقدم" أم حركة خاضعة للصدفة.

ج)- مشكلة المعيارية: هل هناك معيارية أساسا، ومن أين يستمد الانسان معياريته، من عقله المادي أم من أسلافه أم من جسده أم من الطبيعة (المادة، أم من قوى متجاورة لحركة المادة).

ثالثا: ملامح المنهج عند مالك بن نبي:

1. **المعامل الاستعماري:** هو ما يضعه ويصنعه الاستعمار على الأرض المستعمرة من صعوبات وعراقيل ليزيد من تخلفه، يصف ذلك كيف قام الاستعمار الفرنسي بناءً على توصيات من الجنرال "بوجو" والذي أدرك تقدم أهل الجزائر مما جعله يطلب أن يكون المستعمرين الفرنسيين أكفاء للجزائريين وليس أقل منهم بجانب استغلال مواردهم والتضييق على أبنائها في الرزق والتعليم والعمل.
2. **معامل القابلية للاستعمار:** يقول مالك بن نبي في ذلك أنه ينبعث من داخل الفرد الذي تعرض وطنه للاستعمار، فمثال كلمة "الأهالي" التي أطلقت على أهل الجزائر نجدهم يقبلون مقولات المستعمر عليهم بدلاً من تعرفاتهم لأنفسهم، حيث يقول في هذا السياق: "أخرجوا المستعمر من أنفسكم قبل أن يخرج من أرضكم".
3. **الأفكار المطبوعة:** هي تلك الأفكار الدافعة الأولية التي تقوم في المجتمع.

4. **الأفكار الموضوعة:** هي تلك التجليات التي تظهر من أفعال البشر وأمور الناس ممن أثرت فيهم الأفكار المطبوعة.
5. **أصالة وفعالية الأفكار:** يقسم الأفكار إلى مقياسين مستقلين، المقياس الأول: هو أصالة الفكرة والفكرة الأصيلة هي الفكرة ذات الطابع القدسي، والحقيقة الثانية التي لا يغيرها الزمن الأولى، (العلم، التقدم، الحضارة ...) أما فعالية الفكرة فتقاس وفق ما يمكن أن تنجزه الفكرة على الواقع.
6. **الأفكار المُميتة:** وهي تلك الأفكار المستعارة من الغرب والتي تولد القابلية للاستعمار، جذورها من الخارج بغرض التجديد والتحديث، فإذا بها لا تفعل سوى كما يفعل السرطان من قبل الأفكار الصالحة وتموت لعدم وجود الأساس والبيئة السليمة لتقهر فاعليتها، وهي الفكرة التي فقدت هويتها وقيمتها الثقافيتين بعدما فقدت جذورها التي بقيت في مكانها في عالمها الثقافي الأصلي، وبالتالي وقوع الخراب المادي في المجتمع ووقوع الانهيار والهزيمة على كافة الأصعدة أخلاقيا وماديا.
7. **الأفكار الميتة:** هي تلك الأفكار التي انسلخت عن جذورها وأصولها وفقدت هويتها وقيمتها الثقافية، وأصبحت عير قابلة للتعايش معنا الآن.
8. **المعادلة البيولوجية:** معادلة الله ومساواته بين كافة البشر .
9. **المعادلة الاجتماعية:** يقول هي هبة المجتمع إلى أفراده كافة، أو القاسم المشترك الذي يطبع سلوكهم ويحدد فاعليتهم أمام المشكلات وتتغير من مجتمع لأخر ومن جيل إلى أخر.

رابعا: فكرة الحضارة والنهضة عند مالك بن نبي:

تلك الفكرة التي انبنى عليها كثير من آرائه وهي فكرة البطولة ودورها ويرى أنها فكرة إنسانية نبيلة، حيث يتحدث عن دور الفكرة إنما تتوجه بالأساس إلى الإصلاح الديني وتربية الشعوب حتى يضعوا أيديهم على مواطن المرض ويعملون من أين ياتوا وحت يستفيق المجتمع من سباته.

ويقول في ذلك مالك بن نبي أن كل الحركات الإصلاحية على اختلاف اتجاهاتها اتفقت على نقطة هي "إدارة الحركة والتجديد " والفرار من الزوايا الخرافية إلى المكاتب العلمية، ومن الخمارات الحقيرة إلى مواطن وأماكن أكثر طهارة وفائدة.

ثم يتحدث عن كيفية بناء الحضارة فالمرحلة التي يصف بها مالك بن نبي العالم الإسلامي اليوم هي مرحلة "ما بعد الحضارة"، ويشبه واقعه بواقع رجل مريض ولكنه دخل إلى صيدلية الحضارة الغربية يبحث عن علاج عن أدوية لأغراض دائه لا أصله فيتبنى القوانين الغربية تارة ثم يقلده في نظمه التعليمية والعسكرية تارة أخرى، حيث يقول " إن المقياس العام في عملية الحضارة هو أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها، وسيكون من السخف والسخرية حتما أن نعكس هذه القاعدة حين نريد أن نضع حضارة من منتجاتها "، ويقصد بذلك أنه لا يمكن أن تبيعنا الحضارة روحها وأفكارها وثرواتها الذاتية وأدواتها من الأفكار والمعاني التي يغيرها إلا الفكر الصحيح القائم على النقد والتقييم والتعديل والتي نجدها في الكتب أو في المؤسسات ودونها تصبح كل الأشياء التي تبيعنا إياها فارغة دون روح وبغير هدف".

- **فكرة الحضارة:** رأى مالك بن نبي أن الحضارة أشبه بمعادلة رياضية سماها معادلة الناتج الحضاري وتتكون من ثلاثة متغيرات هي: التراب+ الانسان+ الزمن. والتفاعل بين هذه المكونات الثلاث لا يكون إلا بأيديولوجيا تلعب دور الوسيط الكيميائي بين أطراف هذه المعادلة.

ورأى أن الحضارة انتاج بشري لذلك فإن التخلف الذي يعيشه المسلمون ينبع في الأساس من داخلهم ويعود إلى طبيعة تشكيل عقليتهم وشخصيتهم التي ترسبت فيها مفردات الثقافة السلبية.

فهو ينطلق من هذه المعادلة نحو تحديد مشكلات الحضارة في ثلاث مشكلات أولية: مشكلات الانسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت، ويتساءل ماذا لو توفرت العناصر الثلاثة لدى أمة ما هل تنتج الحضارة تلقائيا؟

بالطبع لا ولكنه يعود مرة أخرى للكيمياء فيضيف عاملا هو المسؤول عن عملية التفاعل (مركب) ما مركب الحضارة ألا وهو الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ، فهو تأثر بذلك بفكرة ابن خلدون في قيام الأمم والتي حصرها

في عاملين هامين "الدين والعصبية" وهما عنده العامل الأساسي لقيام أي أمة أو دولة.

فمالك بن نبي ينتقد كارل ماركس ومدرسته اللذان يذهبان أن العوامل المادية وحدها هي العامل المؤثر في قيام الحضارات في هذا السياق، حيث ينتقد الحتمية التاريخية التي تبناها ماركس من خلال حقائق تاريخية بانهيار الإمبراطورية الرومانية وغيرها واعتباره أن حضارة أمة ماهي إلا ردٌ أو اتجاه تحدٍ حضاري معين.

وفرق في ذلك مالك بن نبي في تجسيد فكرة الحضارة بين "المجتمع الفعال" والمجتمع "غير الفعال"، فاعتبر أن فاعلية المجتمع تنطلق من فاعلية الانسان، لهذا يقول "إذا تحرك الانسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سَكَنَ سَكَنَ المجتمع والتاريخ".

وشرط الفاعلية الأساسي عند مالك أن ينظر الانسان إلى نفسه على أنه صانع التاريخ ومحركه، فالتاريخ نتائج علمية وليس مقولات نظرية، ورأى أن مشكلة المسلم أنه لا يفكر ليعمل بل يفكر ليقول ويتكلم، وقد أدى ذلك إلى ضياع الاستفادة من المال والوقت والعلم.

- فالإيديولوجيا عند مالك بن نبي هي مجموعة من المعتقدات والفكار التي تؤثر على نظرتنا للعالم، أو هي مجموعة من القيم والمشاعر التي نتمسك بها بشكل كبير وهي تشبه بلك (الفلتر) الذي نرى من خلاله كل شيء وكل شخص.

- هي عبارة عن قيم أساسية ونماذج للمعرفة والادراك ترتبط ببعضها وتنشأ صلات بينها وبين القوى الاجتماعية والاقتصادية.
- هي نسق من الأفكار يحدد السلوك الاجتماعي ويبرز خضوع جماعة أو طبقة ما لجماعة أو طبقة أخرى مع إضفاء نوع من الشرعية على هذا الخضوع.
- لكن الأيديولوجيا ليست فكرا جامدا ولكنه دينامي متطور، هي قابلة للتغيير والتعديل وفق ما يطرأ على المجتمع من أوضاع ومواقف تتطلب هذا التغيير.

❖ **ثمرة الفكرة ومراحل الحضارة:**

ينطلق مالك بن نبي من سؤال لا يزال يلح على المسلمين منذ أن صدموا بالحضارة الغربية وكان السؤال: ماهي أسباب تقهقر المسلمين؟ وماهي شروط النهضة فالحضارة عنده هي " مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في طور من أطواره وجوده منذ طفولته إلى شيخوخته.

- وفي ذلك يقول مالك بن نبي طغيان الأفكار حينما ينقلب المجتمع إلى حالة مضطربة مفارقة للحضارة ولا تؤذن بيد حضارة أخرى، ففي هذه الحالة يفقد المتعلم تكيفه مع الوسط الاجتماعي أو لا يستطيع أن يقوم بعمل مثمر يرضي ضميره، عندئذ يلجأ إلى البحث عن الأفكار المجردة النظرية التي لا تأخذ طريقها إلى التطبيق.
- وبدلا من مناقشة معاناة الناس ومشاكلهم والتخطيط لمجتمع أفضل فهو يتكلم عن الماضي الذي ليس له صلة بالحاضر، أو يفتعل معارك وهمية ليكون هو أحد أبطالها.
- لحركة الإصلاح والنهوض بالأمة على اختلافهم في القرب أو البعد، بل إن كثيرا منهم كانوا (لا يعالجون المرض بقدر ما يعالجون أعراضه)، إذن لابد من العودة للدين، فنجد هذا المسلم يحمل في دواخله أمراضا اجتماعية وفكرية ونفسية تعيقه عن فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحا، ليتحول هذا الفهم إلى فعالية للتغيير، وهذه الأمراض كانت نتيجة تراكم عصور من الابتعاد عن العلم النافع والعمل المثمر.
- كيف نصوغ عقل هذا المسلم مرة أخرى حتى يعود إلى فعاليته؟ من هنا ينطلق مالك بن نبي ليقول (إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارة، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته مالم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، مالم يتعمق في فهم العوامل التي تبنى الحضارات أو تهدمها.
- عقدة الدونية خلقت افتتانا في البلدان النامية بأنهم أدنى من الأشخاص الذين يعيشون في الدول المتقدمة، نتيجة لهذه الدونية عزز المسلمون هذه الدونية إلى مجال الأشياء، وقاموا بتقسيم وضعهم كتراكمية ناتجة عن نقص الأسلحة والطائرات والبنوك، فإن عقدة الدونية بناء على الفعالية الاجتماعية كمقياس ستؤدي إلى التشاؤم

على المستوى النفسي للأفراد، وعلى المستوى الاجتماعي سيؤدي ذلك إلى ما نطلق عليه في أماكن أخرى بالتراكم، لتحول هذا الشعور إلى قوة قيادية فعالة يحتاج المسلمون إلى أن يغزوا هذا التخلف إلى مستوى الأفكار وليس إلى الأشياء لتطوير مجتمع جديد يعتمد بشكل متزايد على الأفكار وغيرها من المعايير الفكرية الأخرى.

❖ **الإقلاع الحضاري عند مالك بن نبي:**

يقول في ذلك غنى المجتمع لا يقاس بكمية ما يملك من أشياء بل بمقدار ما فيه من أفكار، فالحديث عن رهانات **الارتقاء الحضاري** والتطور الاقتصادي والاجتماعي وركائزه ومقارباته في ظل مجتمعات المعرفة الحديثة، طرح إشكال محوري في أن أي عملية تنموية وإصلاحية للكثير من الدول الرائدة قديما وحديثاً (كاليابان وألمانيا وسنغافورة وأندونيسيا وتركيا ماليزيا وغيرها...)، نجدهم أن بينهم قاسم مشترك في منطلقاتهم المنهجية نحو **الإقلاع الحضاري** والاقتصاد يتمثل في أولوية بناء الانسان قبل العمران.

إن رسم السياسات الإصلاحية والتأسيس لمشروع مجتمع جدير بتحقيق القفزة التنموية والمعراج الحضاري يتطلب تأهيل الانسان إلى مصف الوعي والفعل الحضاري الذي في مستوى التطلعات التنموية أداءً وثقافة وتفكيراً.

فالفقر الحقيقي ليس في قلة الموارد وإنما الفقر فقر الأفكار وضعف أدوات الابداع في بناء نهضة حضارية إسلامية تساهمان في تعميق التخلف والتشويش على جهود إعادة البناء الحضاري، لهذا وجب علينا بناء جهاز مناعي للمجتمع وللأمة ليحمينا من أن تدخلنا هذه الأفكار الميتة والمميتة في مأزق الاهتلاك أو في الاغتراب في تاريخنا.

- قسم مالك بن نبي أطوار الحضارة إلى ثلاث مراحل هي:

1- **مرحلة الروح:** وهي تلك المرحلة التي تتولد فيها القوة الدافعة كنزول الإسلام على العرب وتبدأ الحضارة في التكوين والاكتمال أو كما يسميها مالك مرحلة "الأفكار الموضوعة".

2- **مرحلة العقل:** أو التوسع العقلي، فتبدأ العلوم والفنون في الازدهار وتبدأ الحضارة في الأخذ بالأسباب المادية للعمران وتبدأ الروح في الأفول وهي تلك المرحلة التي تبدأ فيها الأفكار المطبوعة المستمدة من الأفكار الموضوعة في أخذ مكانها في الحضارة.

3-**مرحلة الغريزة:** هي تلك المرحلة التي تتلو اكتمال العمران وأفول الروح والتي يسميها مالك خيانة الأفكار المطبوعة للأفكار الموضوعة، وفيها تنحدر الحضارة في انتظار سقوطها وهزيمتها من قبل حضارة أخرى.

في قوله المجتمعات المتخلفة ليست بالضرورة هي المجتمعات التي تفتقر إلى الموارد المادية لإنتاج حضارتها وإنما المجتمعات المتخلفة هي تلك المجتمعات التي تفتقر إلى الأفكار في استخدامه للوسائل المتوفرة لديه بفعالية وفي طرحه لمشاكله وحلولها.

خامسا: الروابط الاجتماعية عند مالك بن نبي من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية:

إن تصور شبكة العلاقات الاجتماعية، كتمثيل لمجموعة معقدة من العلاقات المتبادلة في نظام اجتماعي ما ليس بجديد وإنما له تاريخ طويل ففكرة اعتبار العلاقات الاجتماعية شبكة وأن خصائص هذه المشكلة يمكن استعمالها لتفسير بعض جوانب سلوك الأفراد المنخرطين فيها، قد انتشرت بسرعة كبيرة بعد أن قدم الأنثربولوجي البريطاني "جون بارنس" 1954 يصف نظام العلاقات الاجتماعية الذي شعر بأنها مهمة لفهم السلوك الاجتماعي لأفراد بحثه.

وذلك من خلال كتابه "ميلاد مجتمع" في جزئه الأول شبكة العلاقات الاجتماعية والتي يتحدث من خلالها عن ميلاد مجتمع يعني أن الشبكة الاجتماعية تتشكل بميلاد العلاقات الاجتماعية في المجتمع، مدرجاً بذلك تاريخ ميلاد المجتمع الإسلامي، كما يشرح مفهوم المجتمع حين يولد وحين ينهض، والشروط الأولية للنهضة والتربية .

كون ملك بن نبي مفكر مسلم وعاش في بيئة أثناء نشأته، فهو يطرح فكرة مفادها أن الانسان في كل مرحلة يمر بها المجتمع في دورته الحضارية يتصف بخصائص نفسية واجتماعية حسب المرحلة التي يمر بها.

كما يؤكد على أن المجتمع يولد بميلاد شبكة العلاقات الاجتماعية في مفهومه هي التي تشكل هذه الشبكة وأفرادها دائما يفضلون الاجماع على معايير يتفقون عليها مع بعضهم البعض وبالتالي يمارسون ضغطا غير رسمي للامتثال لتلك القواعد والمعايير وعندما لا يتفاعل الأفراد مع بعضهم البعض تقل اتصالاتهم ويؤدي إلى اختلاف المعايير الاجتماعية ، ويصبح الضبط الاجتماعي أكثر تفككاً وأقل استمراريةٍ.

من خلال التحليل لأهم أفكاره تتشكل الرابطة الاجتماعية هو ميلاد المجتمع، حيث يستمر ذلك شبكة من العلاقات الاجتماعية، يعطي مثال على ذلك الإسلام عنما قام بإنشاء ميثاق غليظ بين المهاجرين والأنصار معتبرا أن الهجرة هي نقطة البداية في التاريخ الإسلامي وذلك ببداية قيام مجتمع إسلامي، وتكوينه لشبكة من العلاقات الاجتماعية كما يرى أنه لتوفر هذه الشبكة يجب توفر ثلاثة عناصر هي: الأشخاص، الأفكار، الأشياء، موضحا أن المجتمع يكون قويا بقوة العلاقات الاجتماعية ويزول بزوالها حتى وإن كان الأفراد موجودين.

كما يرى أن تشكل العلاقات الاجتماعية يعود لتشابه في الثقافة أي كل ما يكون له صلة من أي نوع من أنواع العوالم الثلاثة (الأشخاص، الأفكار والأشياء)، أو بينهما هو في الحقيقة علاقة مشروطة بوجود ثقافة وبالتالي تكون جميع أشكال الاتصال الفكري كالفن واللغة من باب أولى هي علاقة اجتماعية ومنه نخرج بفكرة رئيسية هي أن شبكة العلاقات الاجتماعية عامل أساسي وضروري في الجماعة والقوة، كما أنها حقيقة التطور وبتمزقها يتمزق المجتمع ويتأخر.

سادسا: التربية والأخلاق:

يعرف مالك بن نبي الثقافة هي مجموعة الصفات والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته، كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه والثقافة على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته فالانسان اجتماعي بطبعه فيتحدث عن استحالة تكوين الحضارة دون تهذيب غريزة (الحياة في جماعة)، بروح خلفية سامية وهذه الروح مرتبطة بالدين.

كذلك يتحدث عن عن عمليتي تصفية للثقافة، الأولى سلبية فصل رواسب الماضي، والثانية إيجابية لتصلنا بمقتضيات المستقبل.

سابعا: في الاقتصاد والمال:

إن مسألة المقدرة على النهوض الاقتصادي إنما يرجع أساسا إلى العنصر الشخصي، فالثقافة أساسا هي اللبة الأساسية التي يجب أخذها في الاعتبار أولاً لتحقيق نهضة اقتصادية. ففي روسيا مثلاً لم تكن لتولد ما سماه السوفيت بالطفرة الإنتاجية لولا ما فعله " لينين" من صب المبدأ الاشتراكي في نفسه وعقلية الشعب الروسي.

كما لم تم النهضة الإنتاجية في الصين إلا بعد الشروع في ثورة ما والثقافة، وبهذا نلتقي مع أسبقية (عالم الحياة الاجتماعي)، على (المهندس الاجتماعي).

كذلك قسم طبيعة النظام الاقتصادي إلى قسمين:

1) – نظام قائم على مبدأ المنفعة: وهو الذي يقوم على توازنه على قانون العرض والطلب.
2) – نظام قائم على مبدأ الحاجة: وهو الذي يقوم على مبدأ أن لكل فردٍ حقٌ غير مشروط في الحصول على خبزه اليومي وبالتالي يصبح العمل واجبا عليه، مما يجعل النظام يتزن وفق مبدأ الإنتاج والاستهلاك.